



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2023-02-11

تاريخ القبول: 2023/06/15

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

أخلاق السادة وأخلاق العبيد في فلسفة نيتشه

*Ethics of masters and morals of slaves in  
Nietzsche's philosophy*

شهيذة لعموري<sup>1</sup>،

<sup>1</sup>جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، [chahidamouiz@yahoo.fr](mailto:chahidamouiz@yahoo.fr)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في المشروع الأخلاقي النيتشوي الذي استطاع من خلاله إعادة النظر في الأخلاق السائدة، وقد قام نيتشه بعمل حفريات في المعايير الأخلاقية التي شكلت القيم الأخلاقية الأوربية، وقد قدّم مشروعه على أساس هدم الأسس التاريخية والدينية والاجتماعية. إذ أحدث ثورة في الفلسفة الغربية وقلب الفكر الأخلاقي والميتافيزيقي المشكّل للحضارة الغربية برمته، ومهد الطريق للفكر الغربي المعاصر، الذي كان بداية لأفول أصنام الفكر الأخلاقي الكلاسيكي.

الكلمات المفتاحية: نيتشه. إرادة القوة. أخلاق السادة. أخلاق العبيد. الإنسان الأعلى.

**ABSTRACT**

This study aims to research the Nietzschean moral project through which he was able to reconsider the prevailing morals. It revolutionized Western philosophy and overturned the moral and metaphysical thought that constituted the entire Western civilization, and paved the way for western contemporary thought, which was the beginning of the demise of the idols of classical moral thought.

**Keywords:** Nietzsche. The will to power. The morals of the masters. The morals of the slaves. The superman.

## شهادة لعموري

### 1. مقدمة:

يعدّ فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche) (1844-1900) أحد أهم الفلاسفة في تاريخ الفكر الغربي والإنساني، وذلك من خلال إسهاماته التي تجاوزت عصره في فلسفة الأخلاق، والتي خلفت أثراً كبيراً على الفكر العلمي في القرن العشرين، حيث يعتبر نيتشه الفيلسوف الوحيد الذي تفلسف بوجوده وكانت فلسفته الوجه الآخر لحياته. فلقد حاول أن يُقيم وينقد التاريخ الأخلاقي كله وأن يعيد النظر في جميع المعايير والأحكام الأخلاقية، لذلك نجده قد طرح أسئلة كبرى تتمحور حول الوجود البشري؛ كمنعنى الحياة والموت والصورورة والإله والديانة المسيحية.

لم يركز نيتشه بحثه حول الذات من أجل البحث عن القيم الإنسانية الحقيقية غير المرتبطة بالدين المسيحي والعامل الاجتماعي وعوامل الضعف والانكسار فحسب، بل انصب بحثه عن الذات الخالقة للأفعال وللأخلاق، تلك الذات المالكة لأفعالها والتي تسير وفقاً لقوتها. لقد انتهى بحث نيتشه إلى نوعين من الأخلاق التي عرفتها البشرية عبر التاريخ، وهما أخلاق العبيد وأخلاق السادة، وهذا التقسيم قصد منه أخلاق نبيلة وأخلاق سيئة.

وعلى ضوء هذا السياق، نطرح الإشكال التالي: ما موقف نيتشه من الأخلاق الكلاسيكية؟ وما هي الخصائص التي ميّزت أخلاق السادة وأخلاق العبيد النيتشوية؟ وما هي المعايير الجديدة التي بنيت على أساسها القيم الأخلاقية النيتشوية؟

### 2. نيتشه ونقده للأخلاق والقيم السائدة:

بدأ تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة بظهور العقلانية المثالية التي عبرت عن نفسها في بداية الأمر من خلال النزعة الإنسانية في عصر النهضة، التي جعلت الإنسان الواعي مركزاً للكون وموضوعاً للحق، ولكن ظهرت في الوقت نفسه فلسفة علمانية جعلت من المادة غير الواعية مركزاً وأساساً للكون، وتاريخ الفلسفة الغربية هو تاريخ الصراع بين الرؤيتين، حيث أصبح الإنسان كائناً قادراً على التحكم في نفسه وعواطفه وعلى غزو الكون وتسخييره، وبذلك ظهرت بعض المنطلقات العلمانية الأخرى (مثل الحتمية التاريخية، العقل المطلق والإيمان بالتقدم والعلم) وهي منطلقات تفرض وجود حقيقة ثابتة مما استدعى الأصول الربانية بدلاً من الأصول الطبيعية التي تؤسس أنساقاً أخلاقية تتسم بالثبات والمطلقية، إلى أن ظهرت خطوة جديدة منطقية متضمنة في النموذج المادي تحرّر من الأوهام المتبقية من الثبات والتجاوز ويظهر تماماً من خلال (ظلال الإله) وخلق قيم جديدة، وذلك من خلال ما قدّمه "فريدريك نيتشه" الذي تميز بحثه بالنقد للقيم الأخلاقية الكلاسيكية، وكذا تحويل الفكر الحديث من ميتافيزيقا العقل إلى ميتافيزيقا الجسد والإرادة، وبذلك فهو أراد تغيير القيم الأخلاقية والسعي إلى التمكن من محاربة أفكار الميتافيزيقا بعد أن كان الفكر المسيطر هو اللاهوت والكنيسة. (مراح صورية، 2015، صفحة 5)

أول ما ينبغي أن نشير إليه عند بحثنا للنقد الأخلاقي عند نيتشه، هو معنى "اللاأخلاقية" عنده، ذلك أنّ المعنى الشائع لهذه الكلمة هو التحلل من القواعد والمبادئ الأخلاقية، أي هو الدعوة لنوع من الهمجية والإباحية في علاقات الناس بعضهم ببعض، وعلى هذا النحو تفهم الأذهان السطحية كلمة اللاأخلاقية التي تتردد كثيراً في نقد نيتشه

## شهادة لعموري

للأخلاق. وهذا ما يحدّرنا منه نيتشه ذاته من أن نحمل فكرته مثل هذه المعاني العامية، إذ أنّ الناقد الصحيح للأخلاق لا يمكن أن يكون غير أخلاقي Unmoralisch بمعنى الوقوف من الأخلاق السائدة موقف المخالف العاصي، ففي هذا اعتراف ضمني بالقيم التي تعبّر عنها تلك الأخلاق، ومحاولة لمخالفتها فحسب، أي أنّ المرء في هذه الحالة يعترف بما تسميه الأخلاق السائدة خيراً وشرّاً، ولكنه لا يحرص على أن يقف من هذه القيم موقف سائر الناس، بل يعلن العصيان عليها ويأبى أن يطيعها، ومحال أن يكون هذا- كما قلنا- هو موقف أخلاقي، بل موقف الانحلالين والمنحرفين. وإنما يتخذ الناقد الأخلاقي موقفاً ذا طبيعة مغايرة تماماً، فهو لا أخلاقي immoralish، بمعنى أنه لا يعترف أصلاً بالقيم الأخلاقية السائدة، ويحاول مراجعتها من جديد. (فؤاد زكريا، 2018، صفحة 76)، فهو إذن ليس مخالفاً ولا عاصياً ولا منحرفاً، وإنما هو مستقل عن هذه الأخلاق.

وإذا كان لا يقر بما نسميه خيراً، فهو أيضاً لا يعترف بما نسميه شرّاً، وإنما يتخذ موقفاً يخرج عن نطاق تلك القيم الشائعة وينظر إليها من الخارج فحسب، وتلك- في رأي نيتشه- هي صفة الناقد الصحيح؛ إذ لا يجب عليه أن يصدر حكمه من خلال أية قيمة أخلاقية سائدة، وإنما ينبغي عليه أن يضع هذه القيم ذاتها موضع الشك، ويتأملها كما لو كان مشاهداً محايداً يحدّثها من بداية الأمر ليقرّر مدى صلاحيتها، "فلكي يتسنى لنا أن نتأمل أخلاقنا الأوروبية من بعيد، ونفارقها بنظم أخلاقية أخرى، سابقة أو تالية، علينا أن نفعل ما يفعله السائح الذي يريد أن يعرف مدى ارتفاع أبراج مدينة، فهو عندئذٍ يغادر المدينة. فالتفكير في الأحكام الأخلاقية المتحيزة، هذا التفكير يقتضي اتخاذ موقف خارج عن الأخلاق بمعزل عن الخير والشر" (فؤاد زكريا، 2018، صفحة 76)

بهذا يرفض نيتشه كل القيم الأخلاقية السائدة، سواء تلك القيم التي تقوم على أساس عقلي فلسفي أو القيم التي تقوم على أساس لاهوتي.

كما لا ينحصر نقد نيتشه للأخلاق الكلاسيكية على الجانب الديني (أخلاق المسيحية) أو الفلسفية والتاريخية أو الاجتماعية، بل ببساطة هو يهاجم كل الأخلاق القبلية التي تدعو إلى الضعف وتمجد الزهد وتحمل الاستياء والحدق على الأقوياء.

لهذا كان اعتراض نيتشه على الأخلاق بشكلها الكلاسيكي مطلقاً دون تمييز، حيث يعتقد نيتشه أنّ جميع النظم المعيارية للأخلاق تؤدي دوماً نفس الدور، فهي في الأساس تحمل نفس الخصائص ومهيكلت على دعائم الضعف والعبودية. (Leiter Brian, 2015, p. P 61)

ويستهدف نيتشه القضاء على الأخلاق التقليدية التي آمنت بها البشرية وقدّستها وخاصة الأخلاق المسيحية. لقد كان موقف نيتشه من كل الأحكام الأخلاقية السائدة هو موقف المتشكك الذي يرفض التسليم المطلق بهذه الأحكام. ويؤكّد نيتشه بهذا الصدد: " لقد تميزت بالشك، ذلك أي كنت أكره التسليم بكل الأخلاق التي تمجد على الأرض... إنّ فضولي وظنوني كان محتوماً عليها أن تتوقف عند السؤال عن أصل أفكارنا عن الخير والشر... وقد تعلمت منذ فترة مبكرة أن أفضل الأحكام اللاهوتية عن الأحكام الأخلاقية وتوقفت عن البحث عن أصل الشر وراء

### شهادة لعموري

العالم". (فيصل عباس، 2011، صفحة 216) وقد طرحت المشكلة التالية: في أيّ الشروط يستنتج الإنسان الأحكام القيمة الرفيعة والوضيعة، وما هي قيمة هذه الأحكام نفسها؟ واعتراض نيتشه التاريخي على المسيحية كامن في أنها السبب الرئيس في قبول ما أسماه "أخلاق العبيد" وقيمها وفي الترويج لها، أخلاق هذه الطبقة التي تشكل جزءاً أساسياً من نظريته المشهورة في التفرقة بين نوعين من الأخلاق: نوع مصدره الممتازين في الإنسانية وهو أخلاق السادة، وآخر مصدره رعاع الإنسانية وطبقاتها المنحطة، وهو أخلاق العبيد. وقد جاءت فكرته هذه بعد دراسته للنظم الأخلاقية، حيث تفيض أخلاق السادة بالقوة والثراء والعطاء، في حين تنبع أخلاق العبيد من الحقد والكراهية وحب الانتقام. وتاريخ الأخلاق كما وجده نيتشه، هو تاريخ الصراع بين أخلاق السادة وأخلاق العبيد ومحاوله الواحدة منهما السيطرة على الأخرى. ورمز هذا النضال مكتوب بحروف بارزة فوق تاريخ الإنسانية كله. (كامل مجدي، 2011، صفحة 165)

### 3. إرادة القوة:

لقد وصل نيتشه إلى قمة هرمه النقدي بمبدأ (إرادة القوة) فطرحها نداءً في مواجهة السلطة الإلهية، ثم بدأ بعملية إقصاء أو إلغاء لسلطة (الإله) على الوجود من أجل إحلال مبدأ (إرادة القوة) باعتبارها الهدف الذي يسعى الإنسان الوصول إليه. إذ يرى أنّ هناك قوة تدفع الإنسان إلى العلوّ على ذاته، ومن ثم السموّ فوق الوجود، وتلك القوة موجودة في كينونة كل إنسان وليس خارجة عنه كما يرى الفكر الديني والفلاسفة المثاليون، وهذه القوة تتمثل بفكرة أو مبدأ (إرادة القوة)، هذه الأخيرة في نظر نيتشه تؤلف طبيعة الموجود، وينبغي أن لا تفهم الطبيعة بمعنى الماهية وهو الشكل الثابت في المظهر بمعنى الهيئة فهي تدل بالأحرى على الطبيعة بالمعنى الحرفي، فتعني إذن الحركية في الموجود. (فنك أوينغن، 1974، صفحة 96) أي أن مفهوم إرادة القوة ملازم لطبيعة الموجود المتحركة وليست الساكنة كما فهمها الفلاسفة السابقون لنيتشه، ولذلك فإن كل موجود إرادة قوة طالما هو واقع في الزمان، أن الوجود في الزمان بوصفه صراعاً وكفاحاً في سبيل القوة بوصفه تجاوزاً، إنما يشكل سبيل إرادة القوة، وهذه الأخيرة موجودة بوصفها تابعاً للمستقبل من حيث المبدأ وتريد الممكن وما لا يزال مفتوحاً. (فنك أوينغن، 1974، صفحة 97)

يؤكد نيتشه أنّ القوة هي مصدر كل خير، والشر مصدر كل ضعف، والسعادة هي الشعور بنمو في القوة، أكثر فأكثر لا رضا بل قوة لا سلام بل حرباً، وفي هذا يوصي الراقين "اعتلوا فوق هؤلاء الناس يا إخوتي فإنهم ألد أعداء الإنسان المتفوق" (فريدريك نيتشه، تر: فليكس فارس، 2014، صفحة 322) " لا أن يلاءم تلك النفوس الزاخرة التي تشعر بأنّها هي مانحة القيم وخالقتها، فإذا ما صدر عنها الخير، فهو لا يصدر عن خوف أو إكراه أو ضغط، وإنما يصدر عن إحساس قوي بالوفرة والامتلاء والقوة الفياضة الباذلة" (فؤاد زكريا، 2018، صفحة 84) إذا يحذر نيتشه من أولئك الناس الفقراء والضعفاء أن يسودوا وتسود أخلاقهم لأنّ سيادتهم برأيه تمثل الانحطاط وهي إرث يهودي

## شهادة لعموري

بالخصوص، فهم برأيه يشكلون خطراً على الحياة الإنسانية، والخير في نظره كل ما يعلو في الإنسان بشعور القوة وإرادة القوة، والقوة نفسها.(عبد الرحمان بدوي، 1965، صفحة 215) فحينما تسود المبادئ الأخلاقية الزاهدة الداعية إلى الهروب من الحياة، تكون أخلاق العبيد هي السائدة، فالحياة تعني القوة وإرادة القوة وليست الصراع مع الآخرين، لكن أولاً يجب انتصار هذه الإرادة على الذات ورغباتها ومن ثم الصراع مع الآخر الذي يعوز تلك القوى والذي يتخذ من المساومة والاستسلام حلاً للصراع، لكن إرادة القوة تقف بالضد من ذلك لا نحاور ولا نستسلم، بل هي التي تصنع أو تفرض سلطتها على الآخرين فهو إذا يعلن موت عالم الحقائق المطلقة والذات المطلقة والاعتراف بحقيقة جديدة يجب أن يسعى إليها كل إنسان بإرادته.

تلك هي فكرة الإنسان الأرقى الذي يجعل منه قوة عليا فوق كل القوى الأخرى، فهو عندما يعلن موت الإله، يعلن في الوقت نفسه ولادة حياة جديدة ترفض القيم السائدة وترفض الأخلاق الكلاسيكية التي تقوم على الفضيلة والواجب والرحمة والشفقة، فهو إذا يقرر تهديم ميتافيزيقا الأخلاق، ثم يؤسس لفكر أخلاقي يجعل من الإنسان باعتباره إرادة القوة الصانع لقيمه ولا توجد إرادة تفرض قيمها عليه.

يرفض نيتشه الأخلاق السائدة التي تقوم على الرحمة والشفقة، مؤكداً بذلك على إرادة إنسانية تحرك الحياة وهي أساس الحياة، إذ أنّ جوهر الوجود كله هو الإرادة التي تدفع الإنسان دائماً إلى الإمام وتخلق له في كل آن رغبات جديدة، لأنه لا حياة غير هذه الحياة، ولا وجود غير هذا الوجود"(عبد الرحمان بدوي، 1965، صفحة 255) وعلى الرغم من الأثر الكبير الذي تركته نظرية التطور في الفكر النيتشوي إلا أنه أجهز على داروين بمطرقته كما وصفه "جيل دولوز" (Gilles Deleuze 1925-1995). فهو لم ينج من نقده اللاذع الذي يرى أنّ النظرية تنحى منحى عكسي، فالصراع من أجل البقاء يجري على حساب الأقوياء وليس الضعفاء، فالضعفاء يتكاثرون ويتزايدون يمتلكون عقلاً يعمل وذهناً يفكر بذكاء وحسن التصرف، فالصراع من أجل الحياة وليس صراع من أجل البقاء يقول نيتشه: "... وحتى إن اعترفنا أنّ هذا الصراع يحدث فعلاً وأنه بالفعل يحدث أحياناً، فإنّ نهايته معاكسة لتلك التي تتبناها مدرسة داروين والتي ينبغي للناس، ربما أن يتبنوها: إنه ينتهي على حساب الأقوياء، لا على حساب ذوي الامتياز... لا تنمو الأنواع في اتجاه الكمال... يتفوق الضعفاء على الأقوياء أكثر فأكثر ذلك لأنهم كذلك أكثر ذكاء... وأكثر نباهة"(فريدريك نيتشه، تر: حسان بوقرية ومحمد الناجي، 1996، صفحة 90)

أخضع نيتشه إرادة الحقيقة إلى مصيرها المحتوم من آليات التظن المعرفي ليكتشف ما تصيرت إليه تبعاً لنقدها الجذري. فلقد شهدت منقلبات عدة: فمنها استحالة المهابة إلى ما يسميه نيتشه ومن بعده ميشال أنفري Michel Onfray (1959) (خطأ شباب). فضلاً عن فقدانها لتسميتها الراسخة في التاريخ الفلسفي. فمعه لم تعد الحقيقة

## شهادة لعموري

هنا مجرد فكرة أو مقولة معرفية بل تصبح تجربة الحياة ذاتها ومقولة أخلاقية من حيث تكون الأخلاق الممارسة التقييمية لإرادة القوة. (المولدي عزديني، ربيع 2019، صفحة 21)

والحق أنّ المقصود في نهاية الأمر بإرادة القوة هو أن تحل محلّ الأخلاقية. فحين يأبى الإنسان أن ينحصر في نطاق نظام من الأوامر والنواهي، وأن يقيد نفسه بقيم ثابتة، أيًا كانت، فعندئذ سيتخذ لنفسه هدفاً آخر، وهو المزيد من العلاء بحياته والسعي إلى إثرائها وتركيزها سعيًا لا يقف عند حدّ، وهذا السعي هو إرادة القوة. فالفكرة بهذا المعنى لها من المرونة والقابلية للتشكل ما يجعلها في نظر نيتشه بديلاً صالحاً للروح الأخلاقية بوجه عام، وما يجعلها تعبيراً عن رغبته في إحلال التوجيه الحيوي الحركي للسلوك محل التوجيه الأخلاقي السكوني له، واستبدال النظرة الكمية الموحدة إلى الأخلاق بالنظرة الكيفية المتضاربة إليها. (فؤاد زكريا، بدون تاريخ، الصفحات 104-105)

### 4. أخلاق السادة وأخلاق العبيد:

أراد نيتشه للأخلاق أن ترتبط بالأرض وتتخلى عن كل ما يجعلها تصورية، يقول نيتشه: "أثناء تجوالي بين أنماط الأخلاق العديدة والرهيفة والغليظة التي سادت حتى الآن على الأرض، أو ما تزال عثرت على سماتٍ معينة، اقترن بعضها ببعض وترددت بصورة منتظمة حتى انكشفت لي في النهاية نمطان أصليان أنبرى بينهما فارق أساسي، هناك أخلاق السادة وأخلاق العبيد" (فريدريك نيتشه، تر: جيزيلا فالور حجار، 2003، صفحة 247) فمشكلة الأخلاق عنده هي مشكلة الحقيقة وتطابقها مع إرادة القوة بوصفها الجوهر الوجودي المتمثل بالموجودات.

وهكذا نلاحظ أنّ نيتشه حين يتحدث عن قيمة الأخلاق فهو يتحدث عن الشفقة وإنكار الذات والتضحية بالنفس، وينتهي إلى تصنيف الأخلاق التي عرفتها البشرية إلى نوعين متقابلين: أخلاق للسادة وأخلاق للعبيد، وهي تقابل عنده أخلاق القوة وأخلاق الضعف، أو الأخلاق النبيلة والأخلاق الوضيعة.

### 1.4 أخلاق السادة:

يحدّد نيتشه أخلاق السادة بكونها شعور بالامتلاء والقوة والسعادة والتوتر الأقصى والإحساس بالثراء القادر على العطاء والبذل، وأنّ الإنسان النبيل يساعد التعساء أيضاً، ليس بدافع الشفقة ولكن بدافع القوة الفائضة، والرجل النبيل يمجّد ذاته باعتباره القوي وباعتباره أيضاً يمارس القوة على ذاته، فيعرف كيف يتكلم وكيف يصمت، وبيتهج بكونه قاسياً صارماً مع نفسه ويحترم كل قسوة وكل صرامة.

يشير نيتشه إلى أنّ: "الجنس النبيل من البشر يحسب نفسه معيماً للقيمة ولا حاجة به إلى من يستحسنه وهو يقرّر (ما يضر بي مضر في ذاته)، ويعي أنه هو من يضفي أولاً وأخيراً مجدداً على الأشياء: إنّه خالق القيم... الإنسان النبيل

شهادة لعموري

يسعف أيضاً البائس، لكن نادراً ما يكون ذلك بدافع من الرحمة، بل بالأحرى باندفاع يتولد من فيض السلطان، يكون عن تلك الأخلاق التي تعد التراحم أو الفعل الغيري أو التنزه عن الغرض بالذات علامة على الخلق، إنّ نبلاء وصناديد يفكرون هكذا هم أبعد ما يكون عن تلك الأخلاق التي تعد التراحم أو الفعل الغيري أو التنزه عن الغرض بالذات علامة على الخلق، ومن ثمّ العدوّ اللدود المتهكم بالغيرية، انتماء حاسماً إلى الأخلاق النبيلة كذلك ينتمي إليها وبنفس القدرة من الحسم بعض الازدراء والتحفظ إزاء مشاعر التعاطف والقلب الدافئ". (فريدريك نيتشه، تر: جيزيلا فالور حجار، 2003، الصفحات 248-249)

والنبلاء الشجعان هم أبعد ما يكونون عن تلك الأخلاق التي ترى التميز الأخلاقي على وجه الدقة في الشفقة أو العمل من أجل الآخرين. فالإيمان بالذات والتباهي بها والعداء الأساسي والتهكم من كل إنكار للذات تنتمي إلى الأخلاق النبيلة تماماً مثلما ينتمي إليها احتقار الشعور بالشفقة و(القلب الدافئ). والقدرة على الشعور بعرفانه الجميل والرغبة في الانتقام ( وهما يكونان فقط بين الأنداد والنبلاء)، والرحمة في العقاب، والمفهوم الرفيع في الصداقة، والشعور بضرورة معينة لوجود أعداء ليكونوا منفذاً لتفريغ الشعور بالحسد والخصومة والامتلاء، ولكي يكون الإنسان قادراً على أن يكون صديقاً طيباً. كل هذه الخصائص تتميز بها الأخلاق النبيلة. (فيصل عباس، 2011، صفحة 224)

أما عن مبادئ أخلاق السادة، فهي تُعد الأخلاق الأصلية، وهي مرتبطة بعمق بالإثبات الحيوي والمبدع، هذه هي الصفة الغالبة. كما أنّها لا تقبل بالقيم الثابتة ولا بالواجبات، إذ الإنسان القوي يبتكر قيمه، إنه يحدّد واجباته ويقرّر مصيره بنفسه، يخلق الجديد ويهدم القديم الفاسد، كما أنّ هذه المبادئ تمجد الفردانية وتطمح إلى الغزو، ومرتبطة بإرادة القوة، مهيمنة ومجسدة لكل ما يعتبر مستحيلاً، وتعترف به. ( عبد الرزاق بلعقروز، تقديم: عز العرب لحكيم بناني، 2010، صفحة 188) يقول نيتشه بهذا الصدد: "إنّ أخلاق السادة تفيض بشعور الاستيلاء والقوة وسعادة والتوتر والإحساس بالثراء القادر على العطاء والبذل، فالرجل النبيل يساعد التعساء أيضاً، ليس بدافع الشفقة بل بدافع القوة الفائضة...". (يسرى إبراهيم، 2007، صفحة 199)

هذه أخلاق السادة النبلاء كما تصورها نيتشه، فهم الأقوياء والعظماء وهم الطامحون، المحاربون والقاسون وهم مبدعوا القيم.

أما عن علاقتها-أي أخلاق النبلاء- بمن هم في نفس المرتبة فهي الاحترام والعدالة، لأنّ ما جمعتهما هي غريزة "إرادة القوة" فالتعادل بينهم هو أقدم وأبسط قانون أخلاقي يخص العدالة، أما الأقل قوة فكانوا يرغبون على قبول هذه التسوية فيما بينهما.

## شهادة لعموري

ولما كانت هذه الطبقة تؤمن بمبدأ خير الأقلية، فإنها تعمل على المحافظة على النقاء والصفاء وتعنى بالتربية، حتى تضمن لنفسها استمرار السيادة والتميز.

إنه التراتب الفطري والأصيل، الذي لا يلتقي بالثلة الوضيعة إلا ليشبث اختلافه عنها ويستمتع بهذا الاختلاف. (عبد الرزاق بلعقروز، تقديم: عز العرب لحكيم بناني، 2010، صفحة 189)

### 2.4 أخلاق العبيد:

أما أخلاق العبيد فيصورهم بالمقهورين الذين لا يتقون بأنفسهم، ويعرض صفاتهم باحتقار شديد، إذا تعبر قيم العبيد عن الشك المتشائم تجاه وضع الإنسان وتوجه العبد بنظرة مليئة بعدم الرضا تجاه سيده، وكل ما يمجده من أفكار، ويحاول أن يقنع نفسه دائماً أن ما يعيشه سيده من سعادة ليس سعادة حقيقية، بل سعادة مزيفة، ويمجد الشفقة والمساعدة، العطف والرحمة والتواضع، في مقابل تمجيد القوة والانتصار، وهو ما يؤكد نيتشه " فلنفرض أن المغتصبين والمقموعين والمتألمين واللاأحرار واللاواقين من أنفسهم والمتعبين يُؤخلقون: فماذا عسى أن يكون المشترك في كل تقييماتهم الأخلاقية؟ يغلب على الظن أنه سيكون التعبير عن ارتياب متشائم من وضع الإنسان ككل وربما عن استنكار للإنسان ووضعه برمته فنظرة العبد تضيق بفضائل صاحب القدرة". (منقذة عدلان العلان، 2007/2006، صفحة 85) وذلك لأن هذه الصفات أكثر تحقيقاً للمنفعة، وهي الوسيلة الوحيدة لجعل وزر الوجود محتملاً.

إن أخلاق العبيد هي جوهرياً أخلاق المنفعة وهو ما يولد التضاد الشهير بين "الخير" و"الشر"، فالشر تعبر عنه القوة والخطر والحدة وكل ما يثير الرعب. وترى أخلاق العبيد أن الشرير هو الذي يثير الخوف، وأما أخلاق السادة فترى أن الجيد هو من يثير الخوف ويجب إثارته دائماً، على حين أن الرديء هو من يكون محتقراً. ويصل هذا التضاد بين أخلاق السادة وأخلاق العبيد أوجّه، عندما يرتبط خير هذه الأخلاق أيضاً بمسحة من الإزدراء، لأن الإنسان الخير في نظر العبيد يجب ألا يكون خطيراً، فهو ذو طبيعة خيرة وأبله. وهناك اختلاف أساسي وهو الرغبة والحرية والغريزة التي تنشده السعادة، فالرغبة في الحرية تنتمي إلى أخلاق العبيد تماماً مثلما أن التفنن في التبجيل والتحمس له والتفاني فيه عارضاً من العوارض التي تميز الأسلوب الأرستقراطي في التفكير والتقييم. (فيصل عباس، 2011، صفحة 225)

أما الحديث عن مبادئ أخلاق الضعفاء: فإنه يمكن الإشارة إليها من خلال تلك المبادئ والصفات الأخلاقية التي يخففون بها معاناة عبء الحياة، مثل؛ الشفقة الخيرية، القلب السليم، الصبر والود... وهذه الأخلاق التي تتناهي مع أخلاق السادة الداعية إلى القوة وصناعة الذات والتاريخ وحب النصر. فأخلاق العبيد بسيطة نابعة من الخوف من

شهادة لعموري

الحياة، فالعبيد لا يجارونها بل يركنون إلى الحياة وظروفها، كما تتميز أخلاقهم بالخداع والجبن والحقد على المتفوقين من السادة، ومحاولة لعب دور الضحية لأنّ نفوسهم خبيثة. (Daniel Pimbé, janvier 2019, p. 31)

بالإضافة إلى أنّ أخلاق العبيد لا تنتج قيما من ذاتها وبصورة أولية، فهي تحتاج لكي تولد إلى عالم معاد لها وخارجي، وتلزمها كما شرح ذلك نيتشه، وبلغة الفيزيولوجيا إلى محفزات خارجية لكي تقوم بالفعل، أي أنّ فعلنا هو بالأساس رد فعل، ومثلما بيّن "دولوز" فإنّ للحقد ثلاث سمات تنتج من ذلك: العجز عن الإعجاب والاحترام والحب، السلبية وعزو الأخطاء وتوزيع المسؤوليات، الاتهام الدائم.

إنّ هذه الصفات التي تميّز قيم الحقد، ستفضي إلى تحريف من نوع آخر، إنه التحريف الذي يكون على صعيد اللغة، أين تتغير دلالة الرمز أو معناه، فتتغير معاني المفردات وتأخذ دلالات أخرى فريدة، وذات معاني مغايرة بل ومتناقضة، هي التضاد بين لفظ خيرٍ وشّرير. (عبد الرزاق بلعقروز، تقديم: عز العرب لحكيم بناني، 2010، صفحة 196) مثل أن يرى العبد أنّ العجز إحسان ويسمي عدم القدرة على رد الفعل صبرا، ويسمي عجزه عن بلوغ مطامحه تواضعا.

يحد الضعفاء على الأقوياء، وهذا الشعور يوّلد لديهم الثورة على الأقوياء وتبريرهم كان باختراع شبيهن: وجود ذات حقيقية منفصلة عن الجسم ويسموها الروح، والقول بحرية الإرادة وأنّ الإنسان يستطيع الخروج عن طبيعته. كما أنّ الضعيف ليس له المقدرة على مقاومة الإغراء ولذلك هو رجل التوسط والتساهل وبالتالي مصدر القيم والشعور بالعجز.

إنّ الرقة والعطف والشفقة، كلها صفات لا تميز الأسياد، لأنّ حياتهم خصبة وتحتكم إلى القسوة والشدة، أمّا العبيد حياتهم تدعو إلى الخيال وتتغذى بالكراهية وتكره الكفاح وتقترب من الحياة المسالمة، فالرقة تعطي العبد الضعف والخداع ويجسها رحمة، بينما السيد يرى في الرقة فعلا قبيحا وحركة خطيرة تؤدي بحياته إلى الهلاك. (Daniel Pimbé, janvier 2019, p. 25)

إنّ أخلاق العبيد هي أكاذيب مناقضة للحياة والحقيقة، متعدّد التوجهات، لا تصدر من ذات قوية، بل من نفوس ضعيفة تشكلها، حيث أنّ إرادة القوة والاختيار والصنع فيها مسلوبة، فالحياة تحتاج إلى المحاربين الطامحين للنصر، المحبين للذات والممجدّين لها. ذلك لأنّ مبدأ الحياة هو إرادة القوة، والإنسان الخالق هو الإنسان الأعلى. (Daniel Pimbé, janvier 2019, p. 33)

إذن، يصل نيتشه إلى أنّ هناك أخلاق متعددة المصدر، ويجب التفريق بين الحكم والفعل، حيث أنّ الفعل ثابت لكن الحكم متغير، لذا فهو حمل على الفلسفات الأخلاقية التي تقوم على مبادئ مطلقة كفلسفة أفلاطون وكانط وغيرها، ووجّه نقده اللاذع لهما، يقول نيتشه: "إنّ الأخلاق في كونها تدين في المطلق وليس بالقياس إلى الحياة أو مراعاة

## شهادة لعموري

للحياة هي خطأ جوهرى لا يوحى بأية شفقة ويتعلق بمزاج منحط أساء سابقا بلا حدود... أما نحن الآخرون نحن اللاأخلاقيون؛ فتحنا قلبنا الكبير على العكس لكل تفهم لكل تفكير، لكل موافقة لا نحب أن نقول لا، نراهن بشرفنا أن نكون أولئك الذين يقولون نعم" (فريدريك نيتشه، تر: جيزيلا فالور حجار، 2003، صفحة 115) طبعا نيتشه حمل عليه مسائل في نقد العقل العملي، وخاصة على فكرة الإرادة الحرة، لـ "إيمانويل كانط" immanuel kant (1724-1804) كان يرى بها واجبا " ليس لنقد كانط من موضوع غير التبرير، وهو يبدأ بالإيمان بما ينتقده" (فريدريك نيتشه، تر: جيزيلا فالور حجار، 2003، صفحة 115) أما نيتشه فيرى الأمر القطعي، ليس سوى عملية تداعي المعاني، أي أنّ العادة جرت أن تحكم على أنّ هذا الفعل حسن وذاك قبيح، فهي عملية تكرار للأحكام فقط، وبضيق حول فهم الفلاسفة معنى (الطيب) إنّ الأفعال التي تخلو من الأنانية هي أفعال طيبة لأنهم جروا بحكم العادة على امتدادها دائما على هذا النحو كما ولو أنّها كانت طيبة بحد ذاتها.

وقد وصف "جيل دولوز" موقف نيتشه من الأخلاق السابقة في كونه "كل مرة يفضح فيها الفضيلة، ليست الفضائل الزائفة هي التي يفضحها، ولا تلك التي تستخدم الفضيلة كقناع، إنه يفضح الفضيلة بالذات في ذاتها، والرداءة التي لا تصدق للأخلاق الحقيقية، وسفالة قيمتها الأصلية،" (جيل دولوز، تر: أسامة الحاج، 1993، صفحة 116) وهو هنا في الواقع يسعى لتدمير أسس الأخلاق المخالفة. هذا التدمير كان لغاية ما مختلفة، يبحث من خلاله على أسس جديدة للأخلاق وسعادة الإنسان.

### 3.4 الإنسان الأعلى:

مفهوم الإنسان الأعلى أو الخارق نجده بارزا في فلسفة نيتشه ممثلا في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" نشره 1883، من خلال شخصية زرادشت، حيث يرتبط عنده هذا المفهوم بالتحرّر الكامل للإنسان من الأخلاق والمعتقدات الدينية السائدة وحتى الأفكار الفلسفية السابقة. وهكذا أعلن نيتشه في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" على لسان زرادشت بقوله: "إنني آت بنبأ الإنسان المتفوق، فما الإنسان العادي إلا كائن يجب تفوّقه" (فريدريك نيتشه، تر: فليكس فارس، 2014، صفحة 338)

ومن ثمة، فإنّ ظهور الإنسان الأعلى مرهون بتوفر جملة من الخصائص التي تتجسد ضمن العدمية الفعالة وتفكيك كلّ القيم الأخلاقية ضمن طرح جينياالوجي جديد.

## شهادة لعموري

الإنسان الأعلى هو الإنسان المتمرد على ما هو سائد، الذي يمتلك إرادة القوة الفاعلة، وقد لا تشير فكرة الإنسان الأرقى إلى شخصية اجتماعية، بل إلى الشخصية الداخلية للإنسان، لأنه مائل فينا على شكل استعداد لا يتحقق إلا بالتسامي والانتصار على الذات.

فإنسان الحداثة غير إنسان ما بعد الحداثة، فالأول جزء من الأرض وليس خارجا عنها، في حين الإنسان الحدائي فهو عبارة عن نفس وهذه النفس في جوهرها تتمسك بالعالم الآخر، وهي نفحة إلهية كما يقول الفلاسفة موجودة في جسم الإنسان.

لقد نظر نيتشه إلى الإنسان، فوجد أنّ ثمة قوة إبداعية هائلة تكمن في أعماق إرادته ولكن القوى الكبرى قد بقيت حتى الآن معطلة نتيجة الخضوع أمام قدرة إلهية مزعومة- حسب رأيه- وكما أنّ كل إرادة تفترض هدفا تسعى نحوه، فإنّ الإنسان أيضا يفترض موجودا ليس حاضرا ولكنه يمثل غاية وجوده: " لقد كان الناس قديما ينطقون باسم الله حينما كانوا يرسلون أبصارهم إلى البحار النائية، وأما الآن فقد علمتكم كيف تنطقون باسم الإنسان الأعلى، إنّ الله هو محض افتراض، ولكنني أريد لافتراضكم ألا يمضي إلى أبعد من إرادتكم الخلاقة، أتراكم تستطيعون أن تخلقوا إلهًا؟ إذن فلا تحدثوني عن الآلهة جميعا، بل حاولوا أن تخلقوا الإنسان الأعلى" (زكريا إبراهيم، بدون تاريخ، الصفحات 188-189) ونلاحظ هنا أنّ فكرة الإنسان الأعلى التي دعى لها نيتشه هي عدم للإله، وهو ما قاده لفكرة الإلحاد (موت الإله)، يضيف نيتشه: "...نحن الفلاسفة، نحن العقول الحرة، عندما سماع خبر أنّ الإله القديم قد مات، نحس وكأنّ أشعة فجر جديد قد لمستنا...هاهو ذا الأفق صاف من جديد، والبحر بجرنا، هاهو مفتوح من جديد..". فالإنسان الأعلى عنده هو الصورة النموذجية لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان، (فريدريك نيتشه، تر: حسان بورقيبة ومُجد الناجي، 1993، صفحة 205) ويمكن أن نشير إلى مجموعة من الصفات والخصائص التي تميز الإنسان الأعلى وفق نيتشه، فهو:

- ليس لديه سوى هدف واحد وهو الانتصار والسيادة بصرف النظر عن الوسائل التي تمكنه من تحقيق ذلك.
- هو حر قادر على تحطيم كل القيود، فهو لا يتقيد بالحدود الأخلاقية الموروثة، وإنما يخلق منظومته الأخلاقية.
- متميز متفرد لا يعنيه المجموع في شيء ولا يؤمن بفكرة المساواة، إنه مترقّع لا يسير وفق ما تسير عليه العامة، بل ينشد السمو.

## شهادة لعموري

- لا يستهزئ بالجسد ويزدرجه، فهو يؤمن أنّ الجسد، وليس العقل والشهوة والغريزة أساس الحياة. وليس شفوفاً، فالشفقة ضعف وتترتب عليها سمات سلبية عديدة.
- الإنسان الأعلى لا يعيش حياة المسالمة والدّعة - الترف - بل يعيش حياة الحرب والخطر حتى إذا لم يكن خطر فليخلقه هو بنفسه.
- أخيراً فالإنسان الأعلى، بعد تمثله للقيم السابقة، لا يشبه الإله فحسب، بل هو الإله في ذاته مكثف بنفسه، لا يعتمد ويتقدم على أحد في وجوده، وليس في حاجة إلى قوة خارقة ميتافيزيقية تدعمه وتقدم له العون. (بدر الدين مصطفى وغادة الإمام، 2012)

### 5. الخاتمة:

وختاماً لهذه الدراسة، فإنّه يمكن القول أنّ بحث نيتشه ركّز حول فكرة الإله والأخلاق الكلاسيكية وإرادة القوة، ونقده للأفكار الميتافيزيقية، ومن هذه الأفكار انطلق في بناء فلسفته الأخلاقية.

- تعدّ فكرة اللاأخلاقي التي تكلم عنها نيتشه، ما هي إلا رفض للأخلاق الكلاسيكية السائدة التي تنبع من الديانة المسيحية، فهي أخلاق الضعف والشفقة والرحمة. لهذا كان رفض نيتشه للأخلاق السائدة، من أجل إعادة النظر فيها ونقدها، وهذا لا يعني أنه قد شرع للانحلال الأخلاقي بل وضع الأخلاق موضع شك وتمحيص. فهو لا يقترف ما تسميه الأخلاق السائدة شراً ولا يرتكب ما يسمى خيراً، بل يضعها في ميزان الشك أمام سلطة الذات وإرادة القوة.
- إنّ مشروع نيتشه الأخلاقي برمته، يهدف إلى القضاء على أخلاق الضعف والشفقة والرحمة، لأنّها في حد ذاتها هي شر. ولا تأتي هذه الأخلاق إلا من ضعاف النفوس.
- قرر نيتشه من خلال طرحه المتعلق فكرة "إرادة القوة"، إلغاء إرادة وسلطة الإله (موت الإله)، وتوجيه مبدأ القوة والإرادة الخارقة لدى الإنسان الأعلى محل الإله، وأنّ مصدر كل خير هو إرادة الإنسان القوي، وأنّ الضعف شر.
- تعتبر إرادة القوة مصدر الشعور بالرضا والرغبة، وتبعث في النفس القوة والتوتر وحب الانتصار، والعيش في الخطر - حسب نيتشه -
- المقصود بإرادة القوة في نهاية المطاف عند نيتشه، أنّها تحل محل الأخلاق التقليدية، لأنّها لا تقف بين نطاقين (الأوامر والنواهي الأخلاقية)، بل تجعل السلوك في حالة غنى وقوة، أكثر خصوبة ورغبة واستعلاء في الحياة.

شهادة لعموري

---

وأخيراً، تعتبر فلسفة نيتشه الأخلاقية تقويمًا وانقلابًا، فهي تريد أن تفهم الحياة لكي تبدلها. فلسفة نيتشه الأخلاقية تسعى إلى تحطيم الأوثان المتصدعة في الفلسفة الغربية، لهذا شرع نيتشه فلسفة القوة وحب الانتصار والعقل والإبداع وحب الحياة في المخاطر. فقد شكلت فلسفته حداً فاصلاً بين الفلسفة الحديثة والفلسفة المعاصرة، وهكذا قدم نموذج في البناء والهجوم، والغوص في أعماق النفس، وتدمير العبد الذي بداخله.

6. قائمة المراجع:

1. عبد الرزاق بلعقروز، تقديم: عز العرب لحكيم بناني. (2010). نيتشه ومهمة الفلسفة - قلب تراتب القيم والتأويل الجمالي للحياة. الجزائر: الناشر: منشورات الإختلاف، الطبعة الأولى.
2. Daniel Pimbé. (janvier 2019). Nietzsche. France: éditeur: HATIER PhiloSophie.
3. Leiter Brian. (2015). Nietzsche on Morality. New York: Routledge711 Third Avenue.
4. المولدي عزديني). ربيع. (2019) نيتشه: الحس النقدي أساس المعرفة المرححة. مجلة تبين، الناشر: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، العدد 28/07: قطر .
5. بدر الدين مصطفى وغادة الإمام. (2012). الميتافيزيقا. عمان الادرن: الناشر: دار المسيرة، الطبعة الاولى.
6. جيل دولوز، تر: أسامة الحاج. (1993). نيتشه والفلسفة. بيروت لبنان: الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى.
7. زكريا إبراهيم). بدون تاريخ. (مشكلات فلسفية :02مشكلة الإنسان. مصر: الناشر دار مصر للطباعة، (ب ط).
8. عبد الرحمان بدوي. (1965). خلاصة الفكر الأوربي: نيتشه. القاهرة: الناشر: مكتبة النهضة العربية، الطبعة الرابعة.
9. فريدريك نيتشه، تر: جيزيلا فالور حجار. (2003). ما وراء الخير والشر. بيروت لبنان : الناشر: دار الفارابي، الطبعة الأولى.
10. فريدريك نيتشه، تر: حسان بورقية ومُجد الناجي. (1996). أفول الأصنام. بيروت لبنان: الناشر: إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى.

شهادة لعموري

11. فريدريك نيتشه، تر: فليكس فارس. (2014). هكذا تكلم زرادشت. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى.
12. فريدريك نيتشه، تر: حسان بورقيبة ومُحَمَّد الناجي. (1993). العالم المرح. المغرب: الناشر: افريقيا الشرق.
13. فنك أويغن. (1974). فلسفة نيتشه. دمشق: وزارة الثقافة، (ب ط.).
14. فؤاد زكريا ( بدون تاريخ). (نوابغ الفكر الغربي، نيتشه. القاهرة: الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
15. فؤاد زكريا. (2018). نيتشه. المملكة المتحدة بريطانيا: مؤسسة هنداوي سي اي سي، الطبعة الأولى.
16. فؤاد زكريا. (2018). نيتشه. المملكة المتحدة بريطانيا: مؤسسة هنداوي سي أي سي، ط. 1.
17. فيصل عباس. (2011). نيتشه. الموسوعة الفلسفية، الجزء التاسع. بيروت لبنان: مركز الشرق الأوسط الثقافي، الطبعة الأولى.
18. كامل مجدي. (2011). نيتشه شيطان الفلسفة الأكبر. القاهرة: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.
19. مراح صورية. (2015). القيم الأخلاقية عند فريدريك نيتشه. الجزائر: جامعة مُحَمَّد بوضياف المسيلة.
20. منقذة عدلان العلان. (2006/2007). القيم الأخلاقية في فلسفة نيتشه. جامعة دمشق سوريا: رسالة ماجستير.
21. يسرى إبراهيم. (2007). فلسفة الأخلاق عند نيتشه. بيروت لبنان: الناشر: دار التنوير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.